المحاضره الخامسة والعشرون

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

قـــال الشيخ :-

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بســــــــم الله الرحمــــــن الرحيـــــم الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله ،صلواتُ اللهِ وتسليماتُه عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليمـا كثيرا ،

ما زلنا بحولِ الله وقوته مع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامةِ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه ، وما زال الكلامُ موصولاً بحولِ الله وقوته مع قضيةٍ من أهم قضايا التوحيد من فضل الغني الحميد تعليقات مهمه على كتاب التوحيد لفضيلةِ الشيخ ياسر برهامي حفِظه الله ونفع به الإسلام والمسلمين .

وصلنا للمعنى الرابع من معاني الموالاه

الأول ← المحبه والموده الثاني ← النصره

الثالث ← الطاعه والمتابعه

المعنى الرابع :- المعاونةُ والقيامُ بالأمرِ والنصح .

وهذه ثلاثة معاني متقاربات في هذا الباب من أبواب العقيده الإسلاميه (مسألة الولاء والبراء) وهي علاقة المسلم بغير المسلم ، علاقة المسلم بالكافر كتابيـاً كان أو غيرَ كتابي ،

والمسأله لا فارق فيها بين الذِمّـي والحربي في هذا الباب ، بمعنى أن معاني البراء واجبةٌ من المسلم تجاه الكافر وإن كان ذِمّيـاً ، معاهداً أو مستـأمنـاً .

وإنما مسألة المعامله التي يأذن فيها الشرع مع المُعاهَدين أو المُستَأمَنين أو الذِمّيين من أهل الكتاب هذا بابٌ وقضية البراء منهم على كفرهم بابٌ آخر .

فبعض الناس يحدث عندهم من الخلل ما اللهُ به عليم لتصورِهِ أنَّ كل معاني البراء من الكفار موجهه للحربيين منهم وهذا غير صحيح ، وإنما المسأله أنه على دين يعتقدُ بطلان ما أنا عليه ، هو على تصورٍ للإيمان يُناقض تماماً ما أتصورُه في الإيمان ، يؤمنُ بكتابٍ ويكفرُ بكتابي ، هو يؤمنُ بما يظنه توحيداً ونعتقدُه شِركاً حتى لو كانوا آباء أو إخوان ...إلخ

واستشهد الشيخ بقولِ اللهِ:

" لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ "

إذاً المسأله ليس لها علاقه بالحرب ، البراء شئ والمعامله بالمعروف والحُسنى شئ آخر ،

فنحن نُنبه على هذه المعاني لأن خلط الأوراق في هذه المعاني والقضايا يوَلِدُ من الفساد ما اللهُ عزَّ وجلَّ به عليم .

فيقول الشيخ هنا مُعاونةَ الكفارِ ، القيامُ بأمرهم ، النصيحةُ لهم في دينِهم الباطل المُحرَّف أو المنسوخ أو الوضعي البشري يكون من معاني الموالاةِ كما سبق القيامُ بالأمر فوليُ الأمرِ الذي يتولى أمرَ غيرهِ بالصلاحِ ويُعاونه في قضاءِ حاجتهِ ومصالِحِه وينصحُ له وهذا المعنى يجبُ أن يكونَ للمؤمنين قال النبيُ صلى الله عليه وسلم : " الدينُ النصيحه " قيل لمن يا رسولَ الله ، قال : للهِ ولكتابه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمينَ وعامتِهم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى معنى التعاون ومعنى القيام بالأمر ومعنى النصحِ ، قال: " المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُ بعضُهُ بعضاً "

ومن موالاةِ الكافرين (الكُفريه) معاونتُهم على ظُلمهم(وهو الشرك بالله) ، ونصرُهم على باطلهم (وهو أبطل الباطل وهو اتخاذ الأولياء والأنداد من دون الله سبحانه وتعالى)

قــال تعالـى " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ "

وفي حديثِ جرير بن عبد اللهِ رضي الله تعالى عنه قال : وننصح (يعني في البيعه التي كان يُبايعُ بها النبيُ صلى الله عليه وسلم أصحابه بعد بيعة الإسلام يبايعهم على النصحِ لكلِ مسلم وعلى البراءةِ من المشرك) .

قــال وقد جعلَ الله مصيرَ امرأةِ نوحٍ وامرأةِ لوط مصيرَ قومِهما لمُعاونتِهما لقومِها ورضاهما بما هم عليه (من الكفر).

قــال تعالـى :-

" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ "

فخانتاهما المقصود بها ← خيانة معصيه

قــــال الشيخ :-

أي أنه أمرها بتوحيد الله فخانته وكفرت ، أمرها بنبذ الشريك عن الله فخانته وأشركت ،

أمرها باتباع ما أمره الله به من الشرع فخانته وخرجت على شريعة النبي نوح أو لوط عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وليس المقصود خيانة الفِراش .

قـــال ومن معاني ذلك وهي معنى الموالاة المُحَرَّمه (أي من معاني القيام بالأمر ومن معاني النصح في الدين الباطل الثناءُ على الكافرين ونشرِ فضائلهم ومحاسنهم وإطفاء الأوصاف الفاتنةِ في المدحِ والثناءِ عليهم مثلُ أنهم أصحاب المنهج العلمي وأنهم أصحابُ الحضاره والتقدم والعلم والرُقي مع وصف المسلمين بالأوصاف المناقضه المضاده ولا شك أنه لا يجوز وصفُ الكفارِ بالعلمِ مطلقاً بل لا بد من التقييد ، بل يوصفون إمَّا بعدم العلم على الإطلاق ويُستثنى بعض العلم الدنيوي كما قال تعالى :-

" ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون " نفي مطلق ، ثم قال تعالى " يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا " إثبات مُقَيَّد " وهم عن الآخرةِ هم غافلون "

فلا بُد من الحذر من طريقة العَلَمانيين الذين يأمرون المسلمين باتباعِ الغربِ في كلِ ما جاء به وأنه لا يجوزُ الفصلِ بين العلومِ الحديثه ومناهجِ الحياةِ الأخرى في الاجتماع والاقتصادِ والسياسةِ والآداب والفنونِ وغيرها مما كان له أخطرُ الآثارِ في حياةِ المسلمين وازدواجِ المقاييسِ فيها والسعي الحثيثي للفصلِ بين الدينِ والحياةِ وليس فقط بين الدينِ والدوله كما يروقُ لهم أن ينشروا.

قـــال الشيخ :-

العَلَمانيه منهج إلحاديٌ لا ديني والدين الإسلامي يقول (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) والعلماني ليس عنده إيمان بالله فبناءاً على ذلك يريدون فصل الدين عن الحياه واستشهد الشيخ بقول الله (أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ في أَمْوالِنا ما نَشاءُ)

قــال : فلا بُد من الحذر من طريقة العَلَمانيين الذين يأمرون المسلمين باتباعِ الغربِ في خيره وشره زاعمينَ أن لا سبيلَ للنهوضِ إلا من خلال إتباعِ المنهج الغربي في كلِ ما جاء به وهذا له أخطرُ الآثارِ في حياةِ المسلمينَ وازدواجِ المقاييسِ فيها والسعي الحثيثي للفصلِ بين الدينِ والحياةِ وليس فقط بين الدينِ والدوله (وهذا نوع من الولاء المُحَرَّم من المؤمن للكافر).

ومن المعاني التي يطرحها فضيلة الشيخ من كلامِ أهلِ العلم في معنى الموالاةِ المحرمه

قــال : التشبه بهم والركونِ إليهم .

قــال ومن معاني المتابعةِ ← التشبه كمـا قال النبيُ صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقومٍ فهو منهم)

قــال الشيخ :-

ولكن ليس كل درجة تشبه تعطي نتائج نهائيه متشابهه ولكن حسب الدرجات .

مثــال: التشبه بهم فيما هو كفرٌ فهذا التشبه بالكفرِ كفر،من تشبه بهم فيما هو شركٌ فالتشبه بالشرك شرك .

قــال وهو جزءٌ من حديثِ النبي صلى الله عليه وسلم (بُعِثْتُ بين يدي الساعه)

والمسلمُ يتشبه بالرسول صلى الله عليه وسلم في هَديـهِ الظاهر والباطن وكذا بصحابته رضي الله تعالـى عنهم وأرضاهم وبما عليه جماعاتُ المؤمنين ، فأمَّـا التشبه بالكفارِ في الظاهرِ أو الباطنِ فمن أخطر الأمورِ على دينِ المرء .

ذّكّرّ الشيخ :-

أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يأتيه الصحابةُ ويسألونه : يا رسولَ الله من أكرمُ الناس ؟ فيقول: أكرمُ الناسِ أتقاهم ، فيقولون : ليس عن هذا نسألُك، فيقول : فأكرمُ الناس الكريمُ بنُ الكريم بن الكريم بن الكريم (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) ،قالوا ليس عن هذا نسألُكَ ، قال : فعن معادنِ العربِ تسألون، قال : خيارُهم في الجاهليه خيارهم في الإسلامِ إذا فقهوا .

قــال شيخُ الإسلام رحمه الله عزَّ وجلَّ :-

ثم جعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مُحَمَّـداً على شريعةٍ من الأمرِ، شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواءِ الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذينَ لا يعلمون كلُ من خالفَ الشريعه ، وأهوائهم كل ما يهوونهوما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجِباتِ دينهمُ الباطل وتوابِعِ ذلك فهم يهوونهُ وموافقتُهُم فيه اتباعٌ لما يهوونهُ ، ولهذا يفرح الكافرون لموافقة المسلمين لهم في بعضِ أُمورِهم ويُسَرَّون به ويوادون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصُل ذلك،

ذّكّـرّ الشيخ :-

أن من وصايا أبي بكرٍ رضي الله عنه وأرضاه أو عمُر خليفة رسولِ الله على أمَتـهِ وخليفةُ أمَّـةَ الإسلام يقولُ لكل جيشٍ بعثه بسريه أيها الناس اتقوا الله واجتنبوا معاصيه فإنمَّـا تحاربون أعدائكم بطاعتكم لله عزَّ وجلَّ فإن عصَيتم الله استويتم وأعدائَكَم ثم غلبوكم بالعَدَدِ والعُدَد.

قـال ويوادون أن لو بذلوا مالاً عظيمـاً ليحصُل ذلك، ولو فُرِضَ أن ليس الفعلُ من اتباعِ أهوائهم فلا ريب أنَّ مخالفَتَهم في ذلك أحسنُ للماده، وأعوَنُ على حصولِ مرضاةِ الله عزَّ وجلَّ في تركها وأنَّ موافقَتَهم في ذلك قد تكونُ ذريعةً إلى موافقتُهُم في غيره فإنَّ من حامَ حولَ الحِمى أوشك أن يواقِعَـهُ .

ثم يقولُ رحمه الله تعليقـاً على قولِ النبي " من تشَبَّـه بقومٍ فهم منهم"

يقولُ: هذا الحديث أقلُ أحواله أنه يقتضي تحريمَ التشبهِ بهم وإن كان ظاهرُهُ يقتضي كفرَ المتشَبِّـهِ بهم كما في قولِه: " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " فقد يُحملُ هذا على التشبُه المطلق فإنَّه يوجِبُ الكُفرَ ويقتضي تحريمَ أبعاضِ ذلك، وقد يُحمَل على أنَّه صارَ منهم في القدرِ المشترك الذي شابهـهُ فيه فإن كان كُفراً أو معصيةً أو شِعاراً للكُفرِ والمعصيه كان حكمُـهُ كذلك ، و بكلِ حال فهو يقتضي تحريمَ التشبهِ بهم بعِلةِ كونِهِ تشبُهـاً ،

والتشبهُ يَعُمُ فعل الشئ لأجلِ أنهم فعلوه وهذا نادر ، ومن تبع غيرَه في فعلٍ لغرضٍ له في ذلك إذا كان أصلُ ذلك الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير ، فأمَّا من فعل الشئَ واتُفِقَ أن الغيرَ فعلَهُ أيضـاً ولم يأخذُهُ أحدُهم عن صاحبِهِ ففي كونِ هذا تشبهـاً نظرٌ لكن يُنهى عن هذا أيضـاً لئلا يكونَ ذريعةً إلى التشبه لما فيه من المخالفةِ ، كما أمرَ النبيُ صلى الله عليه وسلم بصبغِ اللحى وإعفـاء الشوارِبِ مع أنَّ قولَه (غيروا الشئ ولا تشبهوا باليهود) دليلٌ على أنَّ التشبهَ بهم يحصُلُ بغيرِ قصدٍ منَّـا ولا فعلٍ بل بمجردِ تركِ تغييرِ ما خُلِقَ فينا وهذا أبلَغُ من الموافقـةِ الفعليةِ الاتفاقيه .

يقول الشيخ : قلت: قولُ شيخِ الإسلام إن كان كفـراً أو شِعـاراً للكفر (يعني علامة الكفر مثل الصليب عند النصارى ونجمةَ داوود عند اليـهود) يقول الشيخ شعار الكفر يعني علامته ومن هذا لُبسُ الزُنّـار .

يقول :قال النوويُ رحمه الله في روضةِ الطالبين : ولو شدَّ الزُنَّـار على وسَطـه كفر واختلفوا فيمن وضع قَلنسوةَ المجوس على رأسه والصحيح عند الشافعيه أنه يكفر وذلك في زمنـه ومع تغير الأزمان تتغير مسائل التشبه (أي ما يكونُ تشبهـاً في زمن مع مرور الأيام وانطماس معالمه الخاصه به يأتي في زمن آخر لا يكون تشبه)